الفصلُ الثالثُ

الحياةُ في عصرٍ مثيرٍ

هَذِهِ حِكَايَتُكَ

عِندَما فتحْنا أعينَنا على هَذِهِ الدُّنيا كَانَتِ الأرضُ تعرضُ لنا مئاتِ الأشياءِ، كلُّها تتحضرُ لأجلِنا. فلسنا نحنُ مَن أشرقَ الشمسَ وليسَ لنا يدٌ في هطولِ المطرِ.

ترفعُ الأشجارُ أيديها باتجاهِ الظلِّ إلى المطرِ تناديه، ليقومَ بإنضاجِ الثمارِ التي على أغصانِها.

عِندَما يطيرُ العصفورُ من مكانٍ إلى آخرَ، صوتُ جناحَيهِ يصلُ إلى آذاننا كالسيمفونيةِ.

تنسكبُ المياهُ من على صخورِ الجبالِ إلى الأسفلِ لتندمجَ بماءِ البحرِ. تتجهزُ الحشرةُ وتنتظرُ الضيوفَ لتقديمِ خدمتِها لهم. وتزينتِ النجومُ في السماءِ استعداداً لذَلكَ.

الإِنْسانُ يعني نحن، وُلِدنا في عالمٍ جاهزٍ لنا ولخدمتِنا، وعِندَما فتحْنا أعينَنا وجدْنا كلَّ ما نَحتاجُه يقفُ

من حولنا. الشمسُ تشرقُ لأجلنا، والمطرُ يهطلُ لأجلنا أيضاً. صوتُ الطيورِ كالأغنيةِ، كلُّ شيءٍ لأجلنا نحنُ.

جئنا إلى هَذِهِ الدنيا كالملوكِ، مستفيدينَ من كلِّ شيءٍ حولنا، ولكنَّنا لا نعطي أيَّ مقابلٍ لذَلكَ.

مَن نحن؟ لماذا خُلقنا؟ ما معنى كل هَذِهِ النعمِ المعروضةِ علينا؟

الشَّمسُ المشرقةُ، المطرُ، الشجرةُ المائلةُ باتجاهِ الظلِّ، ماذا يريدون منا؟

هل يمكنُ أن يكونَ كلُّ هذا التنظيمِ لا يحملُ أيَّ مغزى لنا؟

وجدَ الإنسانُ جوابَ هَذِهِ الأسئلةِ بالبحثِ في التاريخِ القديمِ.

عِندَما نفهمُ المغزى الحقيقيَّ المختبئَ وراءَها لن نعودَ نشعرُ بغربتِنا، وسنشعرُ بكلِّ هَذِهِ المخلوقاتِ أقارب لنا.

قرأنا عنِ الدِّين وفهِمْنا وعشنا... لماذا تمَّ إحضارُنا إلى هَذِهِ الدنيا، وأن الحياةَ لا تنتهي هنا؟ والأهمُّ فهمْنا لماذا خُلقنا.

تشوَّشَ قلبُنا هَذِهِ الفترة، عِشنا بَعدَ أن أُضيءَ ضميرُنا. ابتسمْنا للوردةِ، جثمْنا للفراشةِ، استمعْنا إلى هديرِ ماءِ النهرِ، كلُّ ذَلكَ حولَ السوءِ الَّذي كانَ بداخلِنا إلى خيرٍ.

لقد حدثَ الكثيرُ بَعدَ ذَلكَ، ومرَّ على ذَلكَ زمنٌ طويلٌ، وتغيَّرتْ نفوسُ العالمِ.

نسيَ الأسئلةَ. ولم يعدْ يسألُ «من أنا؟».

سكتَ قلبُه، انطفأَ ضوءُ ضميرِهِ، أصبحَ يثقُ بعقلِهِ، يستمعُ إليهِ فقطْ، يقولُ باستمرارٍ: «أنا». تكبَّرَ وأصبحَ أنانياً.

جلسَ في مركزِ العالمِ، وأرادَ تملُّكَ كلِّ شيءٍ، وأنْ يحكمَ كلَّ شيءٍ.

ظَهرتِ الأسلحةُ، أصبحَ يضربُ العصافيرَ، ويقطعُ الأشجارَ، يلوثُ البحارَ، ويحرقُ الغاباتِ، محاولاً بذَلكَ أن يربحَ أكثرَ ويكبرَ.

أرادَ أن تكونَ كلُّ المخلوقاتِ عائدةً له، البحرُ، الأشجارُ، الغاباتُ، السماءُ وكلُّ الأرضِ.

أرادَ العلوَّ والكبرَ باستمرارٍ. افتعلَ الحروبَ. أطلقَ

النارَ على البلادِ والشعوبِ. بدأَ منهجَ العنصريةِ والتفريقِ بَيْنَ الناسِ.

ظهرت الهيروشيميا والناغازاكي، أمامَ أعينِ العالمِ، قاموا بقتلِ الأطفالِ. جنَّ الآباءُ وبكتِ الأمهاتُ.

أفسدوا سحرَ هَذِهِ الحياةِ، وتحولَ التوازنُ إلى فوضَى، تحولَ لونُ البحرِ الأزرقُ إلى الأسودِ.

أصبحَ الإنسانُ عاملاً مؤذياً، الكرهُ، الغضبُ، الشجارُ، الطمعُ... انتشرَ كالوباءِ في البلدِ.

ما الَّذي حصلَ؟

ما الَّذي فقدَه الإنسانُ عنِ الماضي حتَّى تغيرَ إلى هَذِهِ الدرجةِ؟

ما الَّذي خربَ الإنسانَ؟

الَّذين بحثوا عن أجوبةٍ لهذهِ الأسئلةِ وجدوا أنَّ كلَّ شيءٍ يكسبُ معنى مع الإنسانِ. فعِندَما يفقدُ الإنسانُ إنسانيتَه يصبحُ كلُّ شيءٍ في الكونِ بلا معنى.

البَيْتُ المُضِيءُ نُوره

هُناكَ بَعْضُ النِّعمِ والمكاسبِ في الحياةِ التي نتجاهلُها ولا نفكِّرُ فيها. ذهبتُ مع الرجالِ التي تمتطي الحصانَ، تسقطُ أيدينا إلى الأَرضِ عِندَما نسمعُ حديثَ القدماءِ عنِ الحقائق وعندَ النظرِ إلى ما فقدُوهُ.

عن أيِّ فقدٍ أتحدَّثُ، ربَّما لم تستطيعوا فَهمي. شاركَ البروفيسور صافي إحدى ذكرياتِه في إحدى المقابلاتِ. ذكراهُ كم تحملُ من تفاصيلِ الماضي. كانَ قدْ تخرَّجَ حديثاً من كليةِ الطبِّ.

في أولِ وظيفةٍ لي كطبيبٍ متدربٍ ذهبتُ إلى مركزٍ صحيٍّ في مدينةِ قونيا. كُنتُ شاباً أعزبَ وأصغرَ الموجودين في المركزِ. في أولِ ليلة كُنتُ ضيفاً في أحدِ المنازلِ. كان المنزل بجوارِ محطةِ القطارِ.

بَعدَ تناولِ الطعامِ شربنا الشايَ وبدأْنا الحديثَ الشيقَ،

شعرت ليلتَها بتعبِ السفرِ، ولكنَّني كُنتُ أشعر بنفسي غريباً في ذاكَ المكانِ، الساعة تتقدم، أصابني النعاسُ، ولكني لم أستطعْ أن أقولَ شيئاً لصاحبِ المنزلِ. الساعةُ تتقدمُ بسرعةٍ، ولكن لم يتحرَّكْ.

لم أستطعِ التَّحملَ أكثرَ وسألت الحجةَ:

ـ خالَتي! أنتم هنا أيَّ ساعةٍ تنامونَ؟

ـ ننتظرُ القطارَ يا ولَدي، بَعدَ قليلٍ سَيأتي.

أصَابني الفضولُ وسألتُ مرةً أخرَى:

ـ وهل سَيأتي أحدٌ من أقاربِكم على متنهِ؟

ـ لا يا ولدي، ولكن قد ينزلُ أحدُهم من القطارِ وليسَ لديهِ بيتٌ يأويهِ، إذا لم يجدِ الضوءَ منيراً سيبقَى في الشارعِ.

كم هذا التصرُّفُ لطيفٌ، أن تفكِّرَ بغيرِكَ. غريبٌ في الشارعِ وسطَ هذا الظلامِ والبردِ، ولربما يكونُ جائعاً أيضاً فيجدُ مائدةً بانتظارِه.

كم هو جميلٌ فعل الخيرِ! أن تأخذَ مثلاً قطةً إلى بيتِك، أو أنْ تتركَ صحنَ طعام لكلب جائعٍ، أن تعالجَ طائراً جريحاً!.

هل مازالتْ يا ترى بيوتُ (قونيا) تضيءُ للأجانبِ القادمينَ على متنِ القطار؟ وهل تدعوهُم ينامونَ على أسرَّةٍ بَعدَ عناءِ سفرٍ؟

هل مازالتِ النساءُ التي تضعُ الطعامَ للكلابِ على قيدِ الحياةِ؟ والَّذينَ يصنعونَ أعشاشَ الطيورِ أينَ هم الآنَ؟

نفتقرُ للرجالِ الشجعانِ الذينَ يركبونَ الخيلَ. نحن وحيدون وغريبون وسطَ كلِّ هذا الازدحامِ. نموتُ وحيدينَ بعيداً عن أقاربِنا وأصدقائنا، وحتى عن إخوتنا في الإنسانيةِ.

يقولُ المعالجُ النفسيُّ والشاعرُ (كمال) في كتابهِ (دوار الحريَّة): «جاءَ صديقي أحمدُ من بورصة لزيارةِ صديقهِ، عِندَما كانَ يمشي في الشارعِ رآه صديقُه من زجاجِ النافذةِ وسألَه: «من أنتَ؟»، تفاجأَ أحمدُ كثيراً، كان الموتُ حينَها أخفَّ عَلَيه من هَذِهِ الصدمةِ».

لقد تركْنا قلبَنا دونَ أكسجين، وروحُنا قد تعبتْ وذبلتْ من الركضِ خلفَنا. لا تصلُ الحياةُ إلى قلوبنا، تعبتْ أرواحُنا ولم تعدْ تستطيعُ أن تعبرَ عن شيءٍ.

نسيرُ في الطريقِ دونَ أن نتذكرَ ما الَّذي قد خسرناهُ. يقول (عصمت): «تذكَّر ما الَّذي خسرتَهُ».

إذا لم يتذكرِ الإنسانُ ما قد خسرَه فسيجردُ من هويتهِ وشخصيتهِ. كفاقدِ الذاكرةِ لا يتذكَّر اليوم ولا البارحةَ، يعني لا تهتمُّ ولا تعطي أي معنى للحياةِ ولا تتذكرُ ما خسرتَه في حياتِك.

إذا بقيتم دونَ تاريخٍ ودونَ ماضٍ فهذا يعني أيضاً أن لا مستقبلَ لكم.

تَذَكَّرْ لِماذا قَدْ تَخَلَّيْتَ عَنْهُ

سأقصُّ عليكمْ قصةَ فيلم جرتْ أحداثُه في القارةِ القطبيةِ الجنوبيةِ عن رجلٍ وكلابِه؛ بَعدَ أن قطع الثلج كل الطرقِ على الفريقِ، جاءهم خبرٌ من المركزِ بضرورةِ عودتِهم وابتعادِهم عنِ المكانِ، وستأتي طائرة لأخذِهم، ولكن الطائرة لا تتسع للكلابِ الستةِ، لذَلكَ سيضطرون لتركِهم.

لم يتقبلِ الرجلُ هَذِهِ الفكرةَ، فقدْ ساعدتْهم الكلابُ كثيراً في بحوثِهم. كيفَ لهم أن ينكروا فضلَها ويتركوها ويذهبوا؟ لمْ تكنْ مجردَ كلابٍ بالنسبةِ له، بل كَانَت كأولادِه. فهي بالنهايةِ ليست مجردُ كلابٍ، هي روح، ولكنَّه كانَ مضطراً للذهابِ مع الفريقِ لأَنَّ حالتَه الصحيةَ كَانَت حرجةً، فقدْ كُسر إصبعُ قدمِه وتجمدَ وأصبحَ مهدَّداً ببترِها إذا لم تعالَجْ على السريعِ. ذهبَ معهم بَعدَ أن وعدَه المركزُ بعودةِ الطائرةِ لأخذِ الكلابِ.

بعدَ أنِ انتهى علاجُه في المركزِ علمَ أن الطائرةَ لم

تعدْ من أجلِ أخذِ الكلابِ، لم يسمحوا لها لأَنَّ الوضعَ ازدادَ سوءاً هُناكَ وأُغلقتْ كلُّ المنافذِ.

تمرُّ الأيامُ وتمضي، ولكن صوت الكلابِ مازالَ ملازماً له. لم يستطعْ نسيانَهم والمضيَّ في حياتِه، كيف له أن ينسى مَن له الفضلُ في الوصولِ إلى مكَانَتِه الحاليةِ؟ إن كانَ قد تخلَّى عنهم فهذا يعني أنَّه تخلَّى عن نفسِه أيضاً.

في النهايةِ يقررُ هو وأصحابُه العودةَ لإنقاذِ الكلابِ. واحدٌ من الكلابِ كانَ قد ماتَ، أما البقية فسالمونَ. كان يَجِبُ أنْ تشاهدُوا المقطعَ الَّذي يلتقي فيه الرجلُ مع كلابِهِ. مشاعرُ مختلطةٌ بَيْنَ الشوقِ والمحبةِ وألمِ الانتظارِ.

لَقَد تأثرتُ كثيراً بنظرةِ الانتظارِ التي كَانَتْ مرسومةً في عيونِ الكلابِ. الفراقُ دائماً هكذا مؤلمٌ، والانتظارُ أيضاً يتركُ خلفهُ فراغاً قاسياً.

أعلمُ أنَّه في النهايةِ مجرد فيلم، ولكنَّه يسلطُ الضوءَ على فكرةٍ مهمةٍ جداً، استطعتُ أن أفهمَ منها التَّالي:

إنَّ كلَّ من دخلَ حياتي وأضافَ شيئاً ولو بسيطاً عَلَيها، من أصدقائي وأحبابي وحتى الحَيوانات الأَليفَة

التي قدْ ربَّيتُها، أصبحتُ أَعي أن فراقَها صعبٌ جداً.

كيفَ لي أن أتركَهم خلفي؟ فأنا لا أتَخلى عن أحدٍ بسهولةٍ، هذا ليسَ من طَبعي.

يدخلُ الكثيرُ من الناسِ في حياتِنا ويخرجونَ، نعيشُ معَهم ذكرياتٍ وأحداثاً تَبقى في الذاكرةِ. ولكن هل من الصحيحِ تركُهم في الماضي وعدمُ العودة إليهمْ؟ كأنْ تتركَ كلباً أو قطةً في البيتِ وتذهبَ، ألن ينتظروا عودتَنا، ألن يشتاقوا لنا؟ عِندَما تُعجِبنا أحدُ الملابسِ مثلاً، ونتركُها على جنبٍ لنرتديَها أكثرَ من مرةٍ ولا نستطيعُ التَّخلي عنها لراحتِنا عندَ ارتدائِها ألا ينشأ علاقةُ ودٍّ بيننا؟.

الإنسانُ هو أكثرُ من يشعرُ بألم الفراق. أن يتركَه شخصٌ يعني له الكثيرَ ويذهبَ هو أمرٌ مؤلمٌ جداً. ربَّما يظلُّ لأيام بعدَها أو حتَّى شهورٍ وسنواتٍ يتأمَّلُ عودَتهُ.

كما عادَ الرجلُ في الفيلم من أجلِ كلابهِ، ألا يوجدُ ما يَجِبُ علينا العودة من أجلهِ، أَليسَ هُناكَ أحدٌ ينتظرُ عودتَنا؟!

الـرَّجُلُ الضَّائِعُ بَيْنَ الـمُدُنِ

لقدْ ولدتُ في قريةٍ معتدلةِ المناخِ، في ليلةٍ ماطرةٍ. تربَّيت بَيْنَ معارفِ أبي وأمي وأطفالهم، عند خروجي إلى الشارع كانَ الكلُّ يعرفني ويُلقي التحيةَ عليَّ.

لمْ تكنِ الأيامُ في القريةِ تختلفُ عن بعضها، كل يوم يشبهُ الَّذي قبلهُ.

هل كُنتُ أشعرُ بالملل؟

لا.

كيف للحياة أن يكونَ لها شكلٌ آخرُ؟

عِندَما يحلُّ الصيف يهاجرُ النَّاسُ من المدينة إلى القرية للاستجمامِ قليلاً. كُنتُ أنظرُ إلى الغرباء الَّذين يأتون إلى قريتنا وإلى ملابسهم، إنهم يختلفون عنا كثيراً.

المدينةُ، هي المكانُ الَّذي تصبحُ فيها أحلامي كبيرةً ولا حدودَ لها. ليسَ فقط ذَلكَ، بل هي أشبهُ أيضاً بالأميرِ

الَّذي يجولُ في خيالِ طفلٍ محارباً للشرِّ. كُنتُ أرى المدنَ الكبيرةَ حتَّى في منامي، عائداً منها إلى قريتي مرتدياً ملابسَ أميرٍ.

لقد عشتُ أحلامي، تعرَّفت على الحياةِ لأولِ مرة داخلها، لمْ يكنْ سهلاً عليَّ. كُنتُ كمن سقطَ من رحم أمه إلى عالمٍ مجهولٍ مخيفٍ. كان كلُّ شيء صعباً عليَّ، وكأنني تُركتُ وسط معركةٍ شرسة لوحدي، أواجهُ في حياتي كلَّ شيء جديدٍ لم أعشْه من قبلُ، ولكن في كلِّ خطوةٍ لي تتفتحُ أمامي طرقٌ جديدةٌ.

يوجدُ الكثيرُ من الغرباء هنا، الَّذين لا يعرفون شيئاً عني، ولكنَّهم يشاركُونني المكان نفسَه.

الحياةُ ليستْ يوماً واحداً، بل أيام متكاملةٌ مع بعضها بحلوِها ومرِّها.

حتى لو لمْ تكنْ عودتي إلى القرية بالمقدار نفسِه من الجمالِ الساحرِ الَّذي أشعرُه تجاهَ المدينةِ، ولكنَّه قريبٌ منه.

عِندَما يحلُّ الصيفُ وأذهبُ إلى قريتي يجتمعُ كلُّ

أصدقائي للترحيبِ بي بَعدَ غيابٍ طويلٍ. عِندَما أبدأُ الحديثَ عنِ المدينة يسكت الجميعُ مصغياً. كَانَت عيونهم عَلَيها أثناءَ حديثي عنها وكأنَّ القريةَ تصبحُ صغيرةً جدّاً لا تسعُنا، نصبحُ كغصنِ شجرةِ جوزٍ مائلٍ باتجاه الظِّلِّ.

لم أصلْ إلى هَذِهِ المدينةِ بسهولةٍ، تسلَّقت غصناً غصناً حتَّى استطعتُ الوصول. ولكنِّي أشعرُ أنني غريبٌ عن هنا... رائحةُ الجو، الأصواتُ والألوانُ التي تمرُّ أمامَ ناظري، كلها ساعدتني شيئاً فشيئاً على تأْقلُمي على العيشِ فيها. حتَّى أصبحتُ لا أستطيعُ الابتعادَ عنها لفترة طويلةٍ. عِندَما أبتعدُ عنها أشعرُ وكأنني أنسلخُ عن نفسي. فقدْ وجدتُ نفسي بها وتعرفتُ على نفسي لأولِ مرةٍ فيها. هنا حكايتي...

عندَ عودتي إليها ألاحظُ شيئاً. لَقَد كُنتُ مجردَ ضيفٍ في غيرها. جلستُ على شاطئِ البحرِ بَعدَ مشيٍ طويل، أتأملُ ما حولي وأفكِّر بضياعي بَيْنَ هَذِهِ المدنِ متنقلاً من مدينةٍ إلى أخرى.

في المدنِ التي ليسَ فيها بحرٌ، يكونُ معظمُ النَّاس بها

عصبيي المزاجِ، فليسَ هُناكَ من يُصغي لضياعهم وسط هَذِهِ اليابسةِ الصارمةِ. فنحنُ بحاجةٍ ماسَّة للطبيعة في حياتنا من بحرٍ أو جبالٍ.

سرحتُ بأفكاري كرجلٍ عجوز حزينٍ يتذكرُ ما قد مضى من عمره، لا يشعر بالرِّضى في مكانِ إقامتهِ، يريدُ الذهابَ بعيداً حيث يريدُ قلبُه، ولكنَّ العمر يقفُ كعائقٍ كبير في طريقه.

يريدُ السيرَ باتجاهِ الطبيعة وتسلقَ الجبال، ولكنَّه لم يعدْ يملكُ القوة على ذَلكَ. يريدُ الطيران بعيداً كطائر النورسِ، والإبحارَ وسط المجهولِ مثل كولومبوس، الَّذي لا يوجدُ أمامه أيُّ شيء يعيقُ مغامرته.

هُناكَ فقط سماءٌ واسعة الأفق وبحرٌ لا حدودَ له. تشعرُ أمه بالقلق عَلَيه، فلم يعدْ طفلها بجانبها يريدُ الذهابَ إلى هذا العالم الشاسعِ.

أحنُّ إلى طفولتي وإلى قريتي الصغيرةِ، أريدُ زيارتها. أشعر وكأنني «بينيلوبي» أسيرُ باتجاه طفولتي الآنَ.

بينيلوبي شخصيةٌ في رواية «ميلان كونديرا» يحكي عن

رجلٍ قرويٍّ وهجرته إلى المدينةِ وما تحمله من مشاعر الشوقِ والحنينِ.

في البداية، يحكي عن شوقهِ لكلِّ شخصٍ كان في طفولتهِ. لا يستطيعُ معرفةَ سرِّ هذا الحنينِ؛ عدمُ معرفتهِ به يؤلمهُ كثيراً.

ما المميزُ في الطفولةِ يا ترى حتَّى لا نستطيعَ نسيانَه؟ مثل ما يحصلُ معي بالضبطِ... شَوقي وحنيني لطفولتي ولقريتي ورَغبتي بالعودةِ إليها دونَ قُدرتي على ذَلكَ.

ولكن الإنسانَ يعتادُ على العيشِ داخل هَذِهِ الحياةِ يوماً بَعدَ يومٍ. ولكن عند كلِّ موجةِ بحر يُفتح لكم بابٌ دونَ أن تدركوا ذَلكَ. وعلى الساحلِ تنتظرُكم الحياةُ. لذَلكَ يَجِبُ أن تستمرَّ في مغامرتكَ في اكتشافِ الحياةِ.

فاختياري كانَ هنا، في التَّشتت.

رِسَالَةُ نَعْيٍ صَدِيقٍ

صديقي العزيزَ

لَقَد وقعتْ صورةٌ قديمة في يدي. . . في مثل هذا اليوم وقبل (50) عاماً كنَّا نعملُ على توزيع الحلوى على المارَّة. أردتُ التحدثَ قليلاً عن هَذِهِ الصورة.

كان يوماً مشمساً نزل فيه المطرُ فجأةً. كان هُناكَ تجمعٌ كبير وكنَّا نوزعُ الحلوى على النَّاس. وزعنا الحلوى على كلِّ سيارة تقفُ عند إشارة المرورِ.

والتقطْنا بعدَها صورةً لمْ تكنْ أنتَ فيها. لَقَد كنَّا في الصورةِ حزينين جداً. لثلاثِ ساعاتٍ متواصلةٍ كنَّا نُلقي السلام على المارَّة فلربَّما يستطيعُ أحدهما إيصالَ سلامِنا إلَيك.

صديقي العزيز

لمْ تكنْ في الصورةِ معنا ولكنَّ روحَك كَانَت. كان محقّاً

(تورجينيف) حين قال: «الألمُ بَعدَ موتِ شخصٍ قريب لا ينتهي أبداً، ألمهُ يبقَى ملازماً لنا وكأنَّه حدثَ اليوم».

عِندَما يموت شخصٌ مقرَّب منك يصعبُ عليك في البداية تصديقُ ذَلكَ. فهو بالنسبةِ لنا لا يموتُ أبداً يبقى حياً بداخِلنا. ولكن حتَّى لو لم نتقبلْ موتَه فهي بالنهايةِ حقيقة. وكلُّنا ذاهبون عن هَذِهِ الحياة يوماً ما. الموتُ ليسَ خارج الحياةِ، بل الحياة هي داخل الموتِ.

عِندَما يدخلُ أحدهم إلى حياتِنا ويصبح جزءاً منها يصعبُ علينا تقبلُ خروجِه منها. الموتُ يفرقُ الأصدقاءَ عن بعضهم. مَن يموتُ أولاً يتركُ الآخرَ في ألمٍ لا يحتملُ. هذا ما فعلتَه أنت بي. . . موتُك كالجرحِ المفتوحِ في جسدي.

في آخرِ زيارةٍ لي لك كُنتَ قدْ عرَّفتني على والدِك قائلاً:

ـ انظرْ إلى هذا الرَّجُلِ الوسيمِ الواقفِ هُناكَ، إنه والدي.

لَقَد رأيتُه للمرة الثانيةِ في جنازتكَ. كَانَتْ مكسورةً عيناهُ في الأرض. لَقَد جُرحَ نفس الجرحِ.

اااه يا صديقي! لَقَد تركَ غيابُك فراغاً كبيراً في قلبي.

لا، الموتُ ليسَ لعنة بل هو كصافرةِ الإنذارِ. عندَ كلِّ ذهاب ترسمُ الحياة خطَّها. موتُ أحدهم يذكِّرنا بحدودِنا في هَذِهِ الحياةِ.

هُناكَ كلماتُ أغنيةٍ تقولُ:

«هـــل مـــتَّ يـــومـــاً
أو تـــوقـــفَ قـــلـــبُـــك فـــجـــأة
هل شربتَ يوماً من ماءٍ ذي لمعةٍ
أو هـــلِ ارتـــفـــعـــتَ عـــن أرضٍ
لـــيـــسَ بـــهـــا جـــاذبـــيـــة
هـــلْ وقـــعـــتَ فـــي حـــزنٍ
بَـعـدَ أن طـرتَ مـن الـفـرحـة؟»

أعلمُ أنك تسمعُني، لذَلكَ أرسلُ لكَ سلامي مِن هنا يا صديقي العَزيز.

فَرْحَةُ الْمُنْتَصِرِ بِخَسَارَةِ الآخَرِينَ

إنِّي في طريقي الآنَ إلى إسطنبول مع شخصٍ قد تعرَّفت عَلَيه حديثاً. هَذِهِ حكايةُ مسافرين اثنين كلاهما كالظرفِ المغلقِ. كلانا مكسورٌ في داخله، من أجزائنا المحطَّمة تخرجُ حكايتنا. نتكلمُ دونَ توقُّف.

انتهى وقتُ الضيافة وتقديمِ الطعام في الحافلةِ. مضى ساعتان على خروجِنا من أزمير، وما زلْنا نتكلَّم. حلَّ الظلامُ. لم نردْ إزعاجَ باقي الركابِ فأوقفنا الحديثَ وسكتْنا. ولكن حتَّى لو لم يحلَّ الظلامُ كنَّا سنتوقفُ عنِ الحديثِ على أيةِ حالٍ، فقدْ تعبْنا ولم يعدْ أحدٌ منا يُصغي إلى الآخرِ.

كانَ يشعُرُ بالدَّهشَةِ أمام كل ما أقولُه. عِندَما فهمتُ عدم حبِّه للقراءة ومللِه منها، وعِندَما رأيتُ نظراتِ الدهشةِ حينما أخبرتُه بحبي الشديدِ للقراءة، توقفتُ عندها عنِ

الحديثِ وفهمتُ الاختلافَ الكبير بَيْنَنا. لَقَد فهمَ هو ذَلكَ أيضاً، وغرقَ في نومٍ عميق، بَيْنَما أخذتُ أنا أتصفحُ مجلةً كَانَت بجانبي.

عِندَما وصلتُ إلى إسطنبول كَانَ صباح يوم سبتٍ. كَانَت تمطرُ بغزارة. ولكني لم أُردْ فتحَ مظلَّتي. أردتُ من المطرِ أن يبللَني.

كَانَتِ المدينةُ ماتزال غارقةً في نومها. الطرقاتُ مبللةٌ بَعدَ ليلةِ مطر متواصلٍ. هدوءٌ، لا أسمع شيئاً سوى صوت نزولِ قطرات المطر على الطُّرقات.

بدأتُ أمشي بَيْنَ شوارعِها أبحثُ عن مكان دافئٍ آوي إليه. دخلتُ إلى متجرِ حلويات وجلستُ على الطاولة في الزاويةِ، وهي تطلُّ على الحديقة المجاورة للمتجرِ.

مازال المطرُ مستمراً. حانَ وقت استيقاظِ إسطنبول. بدأتِ الطرقاتُ تعجُّ بالنَّاس. أنظرُ إلى وجوه النَّاس، أتأملُها، أريدُهم أن ينظروا إليَّ أيضاً ليعرفُوا حكايتي وأعرفَ حكايتَهم.

وضِعَ على طاولتي كأسُ شايٍ وقطعةٌ من الكعك

بالجبنِ. أشاهدُ التلفاز بَيْنَما آكلُ طعامي. يبدأ البرنامج الصباحيُّ بالخبر التالي: «الحربُ في العراقِ وبالتحديدِ في بغدادَ، التفجيراتُ والموتُ، السياسةُ الأمريكيةُ ومخطَّطاتها، جنازةُ المهندسين والعمالِ الَّذين كانوا متجهين في طريقهم من أضنة إلى بغدادَ».

المطر في الخارجِ الَّذي بللَ إسطنبول بأكملِها، شوارعها، حدائقها، سكانها، كَانَ قد بللَني أنا أيضاً في الداخلِ بأخبارِ الموتِ هذه.

أفكِّر بالنَّاسِ الذين يَعيشُون تحت مطرِ الحرب. أُفكِّر وأسألُ نفسي: ماذا تعني حياة الإنسانِ؟ وأين تكونُ بالضَّبط؟ ولمن يكونُ الموتُ؟

قال رفيقي الَّذي كَانَ يجلس بجانبي طوالَ رحلتي من أزمير إلى إسطنبول:

ـ الإنسانُ يحصلُ على ما يُريدُ في الحياةِ إذا عملَ جاهداً لذَلكَ وقرأ في أحسنِ المدارس ووصلَ إلى أحسنِ المراتب وكسب المال الوفيرَ.

ـ حتَّى تكسبَ أنت كلَّ هذا هل يتطلبُ ذَلكَ خسارتي

بالمقابلِ؟ حتَّى تصبحَ في المقدمةِ هل يَجِبُ أن تدفعَ كلَّ من يقف في طريقكَ، وهل سعادتكَ تبنى على تعاسةِ غيركَ، أليسَ هُناكَ طريقةٌ أخرى لذَلكَ؟

نظر إلي وقال:

ـ ولكنَّ الحياةَ هكذا.

ـ عن أيِّ حياةٍ تتحدَّث؟ هُناكَ المئاتُ بل الآلافُ ممَّن يواجهون مصيرَ الموت ومن بَيْنهم أطفالٌ، بَيْنَما أنتَ هنا تتحدَّث عنِ الربحِ؟! حتَّى تربحَ أمريكا، مئاتُ الأطفالِ قدموا أرواحَهم ثمناً لذَلكَ.

ـ ولكنِّي أؤمنُ أن للحياةِ وجهاً آخرَ، فأنا أقفُ مع ضميري، وحيداً ولكنِّي أُفكِّرُ بالجميعِ. أسيرُ باتجاه الكسبِ بَعدَ الخسارةِ.

عُيُونُ الأُمِّ الَّتي كُلُّها حَيَاةٌ

اجْتَمَعتُ في صباحِ يوم ربيعيٍّ مع مجموعة من أصدقائي للذهابِ في رحلةٍ. كنَّا ننتظرُ الحافلة التي ستقلُّنا، كَانَتِ المدينةُ لا تزالُ غارقة في النومِ.

لفتَ نظري امرأةٌ عجوزٌ تسير وسط الشارعِ، ماذا تفعل يا تُرى امرأةٌ عجوز في هَذِهِ الساعةِ المبكرة؟ جاءتْ صوبنا وبنظرةٍ خجولة طلبتِ المساعدةَ. وضعتُ القليلَ من النقودِ في يدها، تشكرتْنا.

نظرتُ إلى عينيها؛ كَانَتْ تبكي.

وضعتُ يدي على كتفها وسألتها:

ـ مِن أين أنتِ يا خالة، وماذا تفعلينَ هنا في هَذِهِ الساعةِ؟.

بدأت تخبرُني حكايتَها بصوتٍ يجهشُ بالبكاءِ:

ـ ولدي، أنا من مدينةِ قزلطبة، هربتُ من الموتِ الَّذي

كَانَ يطاردُني هُناكَ بَعدَ أن فقدتُ الكثيرَ، عِندَما لم أجدْ هذا الصباح ما أطعمُ أطفالي به خرجتُ إلى الشارعِ لأجدَكم.

أخرجتُ كلَّ ما أملكُ مِن محفظتي وأعطيتُها إيَّاه.

ذهبتْ وهي تدعي لي بالتَّوفيقِ.

أمٌّ من قزلطبة كَانَتْ تبكي بَعدَ أن خسرتِ الأمانَ، السلامَ، الثقةَ، الراحةَ، الأخوةَ. لَقَد هربتْ من الموتِ في قزلطبة لتأتيَ إلى هنا.

الربيعُ الَّذي جئنا نبحثُ عنه في رحلتِنا هَذِهِ رأيتُه في عينَيها؛ لَقَد رأيتُ في عينيها نظرةَ الأمهاتِ المنددة بالحربِ والموتِ.

جئنا إلى هنا هَرَباً من ضجيجِ المدينةِ، نشعر بالحريةِ هنا كالأشجارِ، ولكنَّني لاحظتُ شيئاً، إنَّنا كبشرٍ لم ننجحْ في التعايش مع بعضنا في الغابةِ التي نعيشُ فيها.

أخبرتُ أصدقائي بقصةِ هَذِهِ المرأةِ العجوز، وكيف هربتْ من الموت باحثةً عنِ الحياةِ، كنَّا نبحثُ نحن أيضاً عن الشيءِ نفسه، عنِ الحياةِ.

هل كَانَتْ تدركُ المرأةُ ذَلكَ؟ وهل تعرفُ أنَّ في

المدينةِ التي التجأتْ إليها يوجدُ الكثيرُ من الأمهات أيضاً اللَّواتي لا يختلفن كثيراً عنها؟

الدموعُ التي كَانَت في عينها تشرحُ كم كَانَ صعباً عَلَيها ترك المدينةِ التي اعتادتْ على العيشِ بها وكيفَ أنَّ الظروفَ وقفتْ ضدها وأبعدتْها عنْها.

لو جمعْنا جميعَ الأمهاتِ الباكياتِ ماذا كنَّ سيقلنَ؟

كَانَتْ عيونُها تقولُ: «الحياة» وسترى في عيونِ أمهاتِ أزمير الشيء ذاتَه أيضاً؛ الحياة.

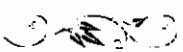

في الشَّارِعِ مِنْ دُونِ فُطُورٍ

يُعتبر ماضياً . . ولكنْ عِندَما أتذكَّرهُ أو أتحدث عنهُ أشعرُ وكأنه لم يمضِ، بلْ مازلتُ أعيشُه إلى هَذِهِ اللحظةِ. لستُ الوحيدَ الَّذي انقلبتْ حياتُه رأساً على عقبٍ، ولا الوحيد الَّذي كَانَتِ الحياةُ قاسيةً معه.

كان الفصلُ خريفاً. وكانَ شهر رمضانَ الكريمِ. كُنتُ أشعرُ بحزنٍ شديد عندَ اقتراب ساعةِ الفطور. فالجميعُ يذهبُ إلى منزلهِ وبيدهِ الخبزُ الطازجُ الساخنُ متوجهاً إلى مائدة تنتظرُه بَعدَ صيامِ يومٍ شاقٍّ. بَيْنَما أنا أبقى في الشارعِ لوحدي بلا منزلٍ ولا إفطارٍ.

عِندَما يحينُ وقتُ الفطور يعمُّ الهدوءُ في أرجاءِ المدينةِ ويبدأُ الجوُّ بالبرود، كَانَ كلُّ شيءٍ هادئاً تماماً كما قال «يحيى كمال»:

«لم يبقَ أحدٌ هنا، لَقَدِ انتهى اليوم بَعدَ مباراةِ كرةِ قدمٍ حاسمةٍ».

كنَّا جائِعَين ولمْ يكنْ هُناكَ أحدٌ ليقلّنا إلى أيَّ مكانٍ، فحتى السائقين مشغولون في هَذِهِ الساعةِ بفطورهم. لمْ يكنْ في الشارعِ سوى أنا وأخي، نسيرُ في الشارعِ لا نعرفُ إلى أين نحنُ متَّجهان.

كَانَ هُناكَ «بسطة» بيعِ خضرواتٍ، ؛ يجلسُ عَلَيها رجلٌ وزوجتُه يشربان الشايَ بَعدَ أن انتهيا من تناول فطورهما. لم يبقَ على الطاولةِ سوى قطعتي «توست».

كَانَتِ المرأة تتحدث عنِ الطعام التي كَانَت تحضره في قريتها ونحن نستمع إلى حديثها. في هَذِهِ الساعةِ وفي هذا الجوِّ الباردِ هما أيضاً لمْ يكنْ لديهما بيتٌ يأويهما ولا مدفأة تقيهما هذا البَرد القارِس.

ماذا نكونُ نحنُ يا تُرى؟

نظراً لكونِنا في هَذِهِ الساعةِ في الشارعِ فهذا يعني أنَّنا لم نفطرْ بعد. لم أعدْ متأكداً إذا كنَّا صائمين أو لا.

فالصيامُ يعني المنزل، يعني أن يكونَ لديكَ منزلٌ تعودُ

لتفطرَ فيه في جوٍّ عائلي حميمٍ، في الليلةِ الماضيةِ لم نستطعِ الصيامَ أيضاً.

المنزلُ هو المكانُ الَّذي تفضِّلون المكوثَ فيه بَعدَ يوم شاقٍّ، أو حتَّى عِندَما تقسو عليكم الحياةُ فهو المكانُ الوحيدُ الَّذي تشعرون فيه بالأمانِ. فلا نشعرُ بالغربةِ ونحنُ داخل منازلِنا.

لمْ يكنْ لدينا هذا المَنزل، بَقينا في الشارعِ بلا أمانٍ ولا راحةٍ.

ماذا سيحدُث لنا؟

توجَّهنا إلى موقف الباصِ بَعدَ أن أشْبعنا معدتنا، ولكنَّ روحنا لم تشبعْ بعد، جاء الباصُ وركبنا فيه. لم نتفوَّه بكلمةٍ واحدة طوالَ الطريق. وهل كنَّا سنتكلمُ إذا كنَّا على مائدةِ الفطورِ الآن؟

تذكرتُ قولَ الشاعرِ:

«هُناكَ فكرٌ واحدٌ يُواسيني

أنْ أقولَ لنفسي أَني سعيدٌ

فالحزنُ هو بابتعادِي عنِ السعادةِ

فالحمدُ للهِ عَلَيها».

لقدْ عشتُ الكثيرَ من الماضي إلى اليومِ. عِندَما تأتي ساعةُ الإفطارِ الآنَ أتذكرُ نفسي في الماضي. أُفكِّر بالنَّاس الَّذين يبقونَ في الشارعِ في هَذِهِ الساعةِ دونَ فطورٍ وأعود لأعيشَ المعاناة نفسَها.

مَنْ سَرَقَ أَسْئِلَتَنَا؟

أتذكرونَ الأسئلةَ الكثيرةَ التي كنَّا نملكُها؟ كنَّا نقتربُ من الجميعِ ونسألُهم، أمهاتنا، آبائنا وحتى الضيوف الَّذين يأتون لزيارتنا.

في بعضِ الأحيان يجيبون على أسئلتنا بضحكٍ، وأحياناً ينظرون إلينا نظرةً عاجزةً عنِ الإجابة. ولكن بَعدَ ذَلكَ أصبحتْ هذه الأسئلةُ جزءاً من ماضي طفولتِنا.

ما الَّذي حصلَ لنا بالضبطِ؟

كيفَ تغيَّرنا ووصلْنا إلى هَذِهِ الحالةِ، فلم يعد يهمُّنا شيءٌ ولم نعد نسألُ عن شيءٍ. فقط نقومُ بوضع كل شيءٍ في مكانه الطبيعيِّ دون أن نسألَ لمَ هنا.

لَقَد سُرقتْ أسئلتُنا! نريدُ معرفة من سرقَها.

هُناكَ مؤسَّستان تعليميَّتان في حياةِ الطفل هما المدرسة والعائلة. فعنْ طريقهما نتعلمُ أسسَ الحياةِ ومبادئها. فنقُوم

بَعدَ ذَلكَ ببناءِ علاقاتِنا والتَّوصل إلى قراراتنا بناءً على ما قدْ تعلَّمناه.

ولكن هل الدورُ كلهُ للمدرسةِ والعائلة فقطْ، أم أنَّ هُناكَ تجاربَ تعلمُ الإنسانَ أيضاً؟

بفضلِ التجاربِ التي نعيشُها أصبحَ من السهلِ إيجاد أجوبةٍ لأسئلتنا. ما أقصدُه هنا أنَّ تطبيقَ ما قد تعلمته يجعلُ من السهلِ ترسيخُه وتذكرُه فيما بعدُ.

ولكن لم يعدِ الإنسانُ مهتماً بالتعليمِ مثل قبل، ولم يعدْ يسعَى لتأسيسِ أساسٍ متينٍ لعلمهِ ومعرفتهِ، فمنذُ أنْ دخلتِ التكنولوجيا إلى حياتنا أصبحَ كلُّ شيءٍ متوفرٍ بسهولةٍ. وأصبحَ من متطلباتِ سوقِ العملِ الإلمام الكامل بطرقِ استخدامِها عوضاً عنِ الأساسِ العلمي الجيدِ.

هُناكَ الكثيرُ من المدارسِ والمعاهدِ التي تعلِّم مبادئ وكيفية استخدامِه، ولكنَّها لا تقبل أي سؤالٍ، فقط التنفيذ والتقليد. لَقَد وضعته الحياةُ أمامَنا كأداةِ مساعدةٍ لا يمكنُ الاستغناء عنها أبداً. ستمرُّ السنون وتصبحُ الشهادةُ مثل الورقةِ التي لا قيمة لها.

تبدؤون تدريجياً بنسيان ما تعلَّمتموه وتنصاعون إلى متطلباتِ سوقِ العملِ. تفقدُ بَعدَ ذَلكَ العلومُ الاجتماعية والأدبية قيمتَها وندخلُ في دائرةٍ من الإنتاجِ والاستهلاكِ.

النهايةُ واضحةٌ، رجلٌ متعبٌ، فاقدٌ للأمل، عصبيٌّ وليسَ لديه أي طموحٍ ولا إبداعٍ.

ولكن ليستِ المدرسةُ هي المصدرُ التعليمي الوحيدُ، يَجِبُ ألا ننسى دورَ الوالدَين الفعالَ جداً. ففي سنواتِ الطفولة الأولى تكونُ أسئلتُنا موجهةً إليهم وحدهم.

أثناءَ رحلتي على متنِ إحدى الحافلاتِ، كَانَتْ تجلس أمامي أمٌّ وطفلُها. الطفلُ يسألُ أمهُ دونَ توقفٍ:

ـ ما هذا؟ إلى أين نذهبُ؟ ولماذا؟

ولا يبدو أنَّها ستنتهي، تزدادُ سؤالاً عندَ كل جوابٍ. ولكنَّ جوابَ الأم كَانَ كجوابِ أغلب الأمهاتِ:

ـ اسكتْ يا ولدي! ألا ترى أنكَ تزعجُ مَن حولكَ؟

لَقَد بقيتْ أسئلةُ الطفل دون جوابٍ، ولكن بإسكاتهِ لن تخمدَ نار الأسئلةِ التي بداخلهِ، فستكبرُ وتزدادُ إلى أن يجدَ

لها جواباً. فمثل ما أسكتتْه من المحتملِ هو أيضاً سيقومُ بإسكاتِ طفلهِ يوماً ما.

يقول علماءُ النفسِ: «الطفلُ يكونُ غريباً في السنواتِ الأولى من عمرهِ، يُريدُ التعرفَ على كلِّ شيءٍ.

فقابليَّةُ التعلُّم لديه تكونُ في أوجِ نشاطِها، يُريدُ معرفةَ كل شيءٍ بأدقِّ تفاصيلهِ، ينظرُ إلى الأشياءِ من حوله بفضولٍ وحيرةٍ، الشجرةِ، العصافيرِ، السماءِ، الشمسِ، الثلجِ... يريدُ أنْ يتعرَّفَ على كل شيء فيبدأُ بطرحِ الأسئلةِ، ليس لأَنَّهُ طفلٌ، بلْ لأَنَّهُ يشعُرُ بقربِ العالمِ من حولهِ إليه».

يستمرُّ الطفلُ في أسئلتهِ فتجيبهُ أمهُ:

ـ كفَى، لَقَدْ تماديتَ كثيراً.

إجابةٌ تقليديةٌ، ولكن هل ستردعه؟. لا، يبقى فضوله نشطاً. فتتطور الأسئلة شيئاً فشيئاً وتصبح ذات مفهومٍ وقالب. ولكن الإجابةَ تؤجَّل باستمرارٍ.

أَقْصَى مُسْتَوَياتِ الطَّمَعِ

عِندَما يتدخَّلُ الإنسانُ في الطبيعة بشكلٍ غير محدودٍ ودون الانصياع لقوانينِها فهو بذَلكَ يؤذيها وينهيها. لأُعطي مثالاً على رأسِ مالِ التاجرِ الَّذي يضعهُ في صفقاتهِ ويريدُ به الزيادةَ، ولكن هل يفكِّر الإنسانُ بهذا الشكلِ؟

فالطبيعة هي رأسُ المالِ ـ بمواردِها الداخليةِ والخارجيةِ ـ ولكنَّه يستهلكُها دونَ أنْ يرفعَ من قيمتِها أو يضيفَ عَلَيها شيئاً.

يظنُّ أنَّ الطبيعةَ ليست مسؤولةً من أحدٍ وليسَ لها أي قيمةٍ أو معنى. وجِدَتْ بسهولةٍ. ولتفكيرهِ بها بهذهِ الطريقةِ خرجتْ مشاكلُ البيئةِ العديدةُ من تلوثٍ واختلالِ التوازن بَيْنَ عواملِها.

يُقال: «الإنسانُ لا يشعُرُ بالصحةِ إلى أن يمرضَ» صحيحٌ ما قالوه.

لماذا يفكِّر الإنسانُ بالطبيعة بهذا الشكلِ؟ لماذا علاقتُه بها ذهبتْ على هذا النحوِ؟ هذا بِسببِ أنانيتهِ، فنوعُ العلاقةِ بَيْنَ الإنسانِ وبَيْنَ الطبيعةِ توضحُ جانباً من شخصيتهِ. فمعاملتُه للطبيعةِ بهذا الشكلِ السيئِ المؤذي توضحُ أن لديه مشاكلَ في شخصيتهِ. يظنُّ أنَّ بإساءتهِ هَذِهِ لن يحاسبَه أحدٌ.

يدَّعي تملكَ كلِّ ما حوله وحريةَ التصرفِ به على حسبِ هواه. يظنُّ أن الحياةَ عبارة عن ساحةِ نضالهِ. يعتقدُ أنهُ في صراعٍ دائمٍ مع النَّاسِ ومع الأشياءِ. هدفُه هو الوصولُ إلى الثراء الدائم؛ لاعتقاده أن السعادةَ لا تكونُ إلَّا من خلالِها.

فما حاجةُ الغنيِّ للصراعِ؟ فليسَ هُناكَ شيءٌ ليربحَه أكثر مما عندَه. يقولونَ: «الطريقُ إلى السلامِ الداخليِّ يمرُّ من الغنى».

للوصولِ إلى الثَّراء الدائمِ في الحياة يتضمَّن ذَلكَ التضحيةَ؛ التَّضامن والتَّعاون. ولكن يقولُ البعضُ: «حتَّى

تصلَ إلى الثراءِ في حياتكَ وتكسبَ الكثيرَ يَجِبُ أن تكونَ أنانياً، وألا تفكِّرَ إلا في مصلحتكَ».

يقول اللورد كيناس في هذا السياق: «من النَّاس الجيدُ ومنهم الضعيفُ، فالضعيفُ أفضل لأَنَّ الجيدَ سيبقَى مكانَه فليسَ لديه ما يحاربُ لأجله».

فبدلَ أن تكونَ علاقةُ الإنسانِ في الوجودِ مبنية على أساسِ «المصلحةِ» و«الأنانيةِ» يَجِبُ أن تكونَ قائمةً على أساسِ التضحيةِ والتعاونِ.

يقولُ اللورد: «إنَّ الإنسانَ مخلوقٌ ضعيفٌ لأَنَّهُ يحاربُ أخاه الإنسانَ. فهذا يدلُّ على أنانيَّتِهِ وغيرتِهِ».

نلاحظُ اليوم ابتعادَ الإنسانِ عن مبادئِ وأخلاقِ دينِهِ. وبالتالي فقدتْ حياتُه الراحةَ والسلام. فيعيشُ بذَلكَ خللاً واضحاً في توازن الحياةِ، فكلُّ شيء في الوجودِ هو من خلقِ الله. ونتيجةُ أسلوبه وتصرفاتِهِ الخاطئةِ التي يتبعُها في علاقاته مع النَّاسِ ومع الأشياءِ من حولِهِ وصلَ إلى حالتِهِ هذه. فكلُّ شيءٍ في الحياةِ مرتبطٌ ببعضِهِ.

فإذا أردْنا رضا اللهِ عنَّا فهذا يعني أنْ نعاملَ مخلوقاتِهِ

بما أمرَ به وفقاً لتعاليمِ ديننا، وبهذا يعيشُ الإنسانُ بقناعةٍ ورضا بما أنعمَ اللهُ عَلَيه.

يسأل شوماخر: «وهل يوجدُ مواردُ تكفي جميعَ البشرِ؟ خلفَ هذا السؤالِ حقيقةٌ نجهلُها؛ على أيِّ أساسٍ نقولُ عن شيءٍ أنَّه كافٍ أمْ لا؟ كقيمةٍ ساميةٍ.

«الاكتفاءُ» ليسَ مفهوماً اقتصادياً كما يعتقدُ الأغلبيةُ، يوجدُ حولنا مواردُ تكفي الجميعَ ولكنَّها لا تكفي جشعَ الإنسانِ وطمعهُ».

الجمال الصغير، إي. ف. شوماخر.

الحَيَاةُ في عَصْرٍ مُثِيرٍ

قَديماً في الصينِ كانوا يستخدمونَ في صراعِهم مع العدوِّ «اللعنة» بدلَ السلاحِ، أي الدُّعاء بالشرِّ للعدوِّ. ولكن سياسة الصِّينِ كَانَت معروفةً بانحلالِها الأخلاقيِّ في ذاك الوقتِ.

هل يمكنُ أنْ يكونَ هُناكَ عقابٌ أشد مِن ذَلكَ؟

ومَن يُريدُ العيشَ في مثلِ هكذا عصرٍ؟ عصرٌ غريبٌ حقاً. يعجُّ بالحروبِ والخسائرِ فلمْ تكنْ تعرف الهدوءَ. كَانَت كالعاصفةِ تخلفُ ما وراءَها مدمَّراً لا حياةَ فيهِ. فالتاريخُ يحكي الكثيرَ عن هذا العصرِ.

لا شكَّ أنَّه عصرٌ غريب لا يوجد للآن أي أثرٍ من العصور الأولى. فنحن الآنَ نعيش بشكلٍ مختلفٍ كلياً عمَّا قبلُ.

مع الأسفِ التقدمُ التكنولوجي الَّذي حصل في عصرنا

لمْ يكنْ له التأثيرُ الجيدُ من هَذِهِ الناحية، فقدْ جلب معه الكثير من التأثيرات السلبية. صحيحٌ أنها تساعدُ الإنسان في مجالات كثيرة وتختصرُ عَلَيه الوقت والجهد الَّذي كَانَ يبذلُه من قبلُ، ولكن الإنسان قديماً كَانَ مرتاح البال أكثر من الآن، لأَنَّ المشاكل التي كَانَت تخرجُ في طريقه كَانَت بسيطة تتعلقُ به وحدهُ.

أما الآنَ في عصرنا فنحنُ نواجهُ مشاكل أكبر بكثير، وإذا لم نسعَ لإيجاد الحلول لها فسوف تتفاقمُ يوماً بَعدَ يومٍ.

حسناً، ألا يبدو لكمْ غريباً تِلكَ الأسياج التي وُضعتْ في الحدودِ بَيْنَ البلاد؟ أليستْ تفرقُنا عن بعضٍ وتعزلُنا؟ إنَّنا نعيشُ في عصرٍ غريبٍ حقاً.

لكل بلد مشاكلُه التي يعاني منها. فالحروبُ والأسلحةُ والمتفجراتُ التي باتت تقضي على شعوب وحضارات على أساس الحماية والدفاع ليست ما نفخرُ به.

الآنَ ما رأيُكم؟ ألمْ يكنْ من الأفضل لو بقينا في عصر الصين؟

فالمهمُّ هنا أن يطور الإنسانُ من عصره لا أن يتراجع به. ما هو الطريقُ الَّذي نحمي به عصرنا من الوقوع في الجهل؟

لستُ متأكداً إذا كَانَ هُناكَ نجاة من الحفرة التي وقعنا فيها، ولكن ما أنا متأكد منهُ أننا إذا بدأنا بالتفكير بطريق النجاة من هَذِهِ السلبيات التي تحيطُ بنا، فهذه تكونُ أول خطوة للنجاة.

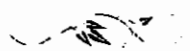

بَعْدَ فَصْلِ الشِّتَاءِ

«يتساقط الثلج علينا بلطف من ظلام أفكارنا الماطرة، ومن سمائنا الزرقاء الصامتة ومن ضوضاء الغابة».

أحمد مهيب

يأتي الثلج من بعيد، يتجول بَيْنَ الطرقات مع رياحه الباردة.

مع الشتاء تقف الحياة فيصبح الخروج إلى الشارع صعباً جداً. فهو فصل السبات والبقاء في المنازل الدافئة. . .

يأتي الربيع على غفلة تاركاً ابتسامة على وجوه النَّاس. .

تنبت البذور وتتفتح الزهور ويصبح كل شيء أخضر اللون.

تهب رياح مختلفة عن تِلكَ التي في فصل الشتاء، تذكركم مرة أخرى بِسببِ حبكم لهذه الحياة. فكل شيء

يكون شديد الجمال في هذا الفصل الخلاب.

تتسابق حبات الثلج في الوصول إلى الأَرضِ، وكأنَّها في صراع من سيصل أولاً. مع هطول الثلج يزداد البرد موديا بحياة البعض.

الجرائد والتلفاز ونشرات الأخبار تعج بأخبار الطقس الباردة.

نشعر بالبرد جميعاً. نحتج عَلَيه، نريد انتهاءه، ولكن لا نريد الصراع معه، نريد الصلح.

الشتاء أيضاً في قلوب النَّاس الباردة غير المبالية بما يجري من حولها.

أما الربيع فيسكن في قلوب النَّاس المهتمة بغيرها.

فلننادِ على الإنسان من جديد ليعود إلى مكَانَته التي فقدها، إلى الحياة.

فمن المهم جدّاً أن تكون إنساناً وتبقى كإنسان.

إذا أردنا الربيع في حياتنا علينا أن نظهر أنفسنا، إذا لم نفعل فسنستمر بالسقوط، وسيبقى الربيع بعيداً عن قلوبنا.

وَقْتُ العَوْدَةِ مِنَ العُطْلَةِ

«عِندَما تكون عاطلاً ولا دور لك في الحياة ستفوتك قافلتها وستَعيشُ غريباً فيها وسط هذ الكون الكبير. أما عِندَما تعمل فستتمكن من الاستماع إلى موسيقى الحياة الممتعة وستفهمها وتندمج فيها.

فبالعمل تحققون جزءاً من حلم الأرض البعيد، جزءاً خصص لكم وحدكم، فإذا واظبتم على العمل النافع ستفتحون قلوبكم بالحقيقة لمحبة الحياة. ومن أحب الحياة تفتح له أبوابها وتدنيه من أبعد الأسرار».

جبران خليل جبران

الحياة مليئة بالامتحانات!

فأصعب الامتحانات هي تِلكَ التي تكون في السعي إلى رزقنا. هي مستمرة لا تنتهي، فما إن تنتهي من أحدها حتَّى يبدأ الآخر.

الامتحانات تقيدنا من التعليم الابتدائي إلى المرحلة الجامعية.

يَجِب مضاعفة وقت الدراسة. آلاف الأسئلة وآلاف الحلول...

لا تكفي المدرسة لتعليمك كل شيء، فتذهب بعدها إلى المعاهد الخاصة التي لا تكفي أيضاً، فتلجأ إلى الكتب. تستمر الحياة بامتحاناتها التي لا يبدو أنها ستنتهي.

هل يَجِب علينا الدراسة بهذا القدر الكبير المتعب؟ أم أننا نستطيع براحة أكبر والساعة التي نريد؟

هُناكَ الكثير من الكسالى الَّذين يرجحون عدم الدراسة بحجة أن «الدراسة متعبة». ويبتعدون عنها ويصبح همهم الأكبر هو الجانب المادي لا أكثر.

في الحَقيقةِ، الدراسة ليست كما يظن البعض؛ لتستطيع بَعدَ ذَلكَ تأمين المأكل والمشرب والملبس. بل هي أعمق من ذَلكَ بكثير.

فاحتياجاتنا تزداد يوماً بَعدَ يوم وحتى نستطيع تأمينها يَجِب علينا العمل بجهد أكبر صباحاً مساءً.

كل ما في المنزل من غذاء، والخزائن المليئة بالملابس الكثيرة، والشوارع المليئة بألاف وسائل النقل، وما زلنا فقيرين فارغين من الداخل.

كل يوم تخرج متطلبات جديدة لا تنتهي. ومع تملكنا للمزيد من الأشياء نصبح خائفين أكثر من فقدانها، وبالتالي نفقدُ الأمان أيضاً.

نخاف أن يأتي يوم يأخذ أحدهم ما نملكه، فتصبح لدينا هموماً جديدة في التفكير كيف سنحمي ما نملكه من الآخرين. نبدأ في حمل أسلحتنا وخلق المزيد من الأعداء لنا، ونصبح بعدها وحيدين لا صديق لنا. فنفقدُ الأمان والثقة بمن حولنا ونصل إلى حالة مرضية من الشك.

في المجتمعات المعاصرة لمْ تكنْ صدفة أن أصبحت المهن أكثر قيمة، فهي مجهود سنين من الدراسة الكثيرة.

فقدْ خلق الإنسان ليضيف ويبدع في الوجود، لا أن يبقى مكانه. ويكون ذَلكَ بالدراسة والقراءة. ولكن للأسف

لم يَحصُل ذَلكَ، فأصبح الإنسان كل همه الجانب المادي فقط، وقلَّ عدد القراء والدارسين، وكل ذَلكَ بِسببِ تفكيره أن الدراسة متعبة. ولا تجلب المال الجيد. فتحول إلى شخص كسول لا يفكِّر بحلول لتطوير شخصه ونفسه.

وحتى إذا أخذ عطلة بَعدَ تعبه وخرج للاستجمام فلن يستطيع الراحة بها، ستهاجمه هواجس المصروف، وبرامج الرحلة، ومكان الإقامة، وبالتالي سيعيش نوعاً جديداً من التعب.

في الحَقيقةِ طبيعة الإنسان تشير إلى ضرورة القراءة، فعِندَما يكون العقل فقيراً يعاني الإنسان من الخمول والكسل، وعدم القدرة على الإنتاج والنجاح، وصعوبة التعامل مع العوائق التي تواجهه.

كنَّا نقول عنِ الدراسة أنها متعبة، بل الكسل متعب أكثر، لأننا لم نجد مفتاح القراءة بَعدُ ولم نتعرف على خفاياه وأسراره. فكل ما في الوجود لغة قوية نَحتاجُ إلى فهمها. فحين نفهمها نستطيع فهم جماليتها.

فطالما فكرنا في عطلة لا نستطيع الخروج، ففي العطلة راحة حقيقة ولا يحق لنا ذَلكَ.

لَقَد حان وقت عودتنا من هَذِهِ العطلة الطويلة لنعد إلى كتابنا ولنعد إلى أنفسنا.

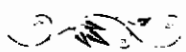

الصَّحراءُ القَاحِلَةُ

الحياة تكون مكان وجود الماء. ولكن بَعدَ فترة قصيرة ستنتهي المياه على الأرض، وستجف التربة، ويموت معها كل شيء حي.

ونحن أيضاً نجري كالماء في حياة الآخرين، في البداية تسكب أسماؤنا. فكل اسم يشير إلى شيء ما، ولكل شخص اسم يميزه، وحياتنا هي حكاية نحن أبطالها.

إذا بقيت أسماؤنا في الذاكرة فهذا يعني أن حكايتنا كَانَت مؤثرة كفاية لتجعل منا شخصاً فريداً من نوعه. فبالتالي نصبح كاسمٍ حي يسكن داخل الآخرين لا يموت أبداً.

عِندَما نؤثر في شخص ما يبقى اسمنا في قلبه ويصبح لدينا مكانة مميزة في حياته عند اقترابنا منه يكبر وعند ابتعادنا يشعُرُ بفراغ كبير. يلاحظ الفرق بَيْنَ وجودنا من عدمه.

فالحياة التي خلقناها بداخله مع كل ما فيها من جمال

وألوان تبقى ذاكرة لا تُنسى. نعيش بداخلهم كجذر يتفرع لينمو ويزهر بَعدَ ذَلكَ.

ينتظرنا بَعدَ ذَلكَ نوعان من الموت؛ النوع الأول هو موت الجسد والروح، ولكنْ بقاءُ الذكرى. فمهما مرَّ من الزمان على غيابنا عن هَذِهِ الحياة وعن حياتهم فسنبقى ذكرى حية لا تموت. يذبل لوننا وتحل مكاننا ألوان أخرى، ولكننا نبقى نعيش داخل القلوب التي تركنا فيها الحياة.

الشكل الآخر من الموت، وهو الأكثر إيلاماً، وهو موت الذاكرة؛ أن تموت داخل ذكرى الآخرين وتُمحى.

فبعد الموت لم تعد هُناكَ أي فرصة لإحداث أي تغيير. بَعدَ ذهابنا عنِ القلوب التي أحببناها سيدخلون في سبات عميق، فلم يعد لنظراتنا وكلماتنا أي وجود.

فالأشخاص القريبون منّا الَّذين وقفوا بجانبنا وساندونا قد ذهبوا إلى مكان لا عودة منه. أصبحنا وحدنا في الصحراء القاحلة لا نجد من يعالج جروحنا. والحقيقة المرة أن الإنسان لا يستطيع معالجة نفسه بنفسه في كل الأوقات حتَّى ولو كَانَ يملك القوة لذَلكَ فسيبقى عاجزاً أمام جروحه.

لأنه حتَّى لو كَانَت لدينا كل الأجوبة عن أسئلة الحياة التي تحيرنا وحتى ولو كنَّا نملك العلاج لجميع همومنا فالعيش في صحراء قاحلة دون أحد كالشجرة التي تقتلع من جذرها.

عِندَما ننظر من نافذة الباخرة ونرى طائر النورس المحلق بسعادة فوق البحر، والأسماك التي تتراقص سعيدة كل ذَلكَ يجعلنا نفكر مرة أخرى كيف أن ما حولنا يؤثر علينا.

فكيف للوسط المحيط بنا أن يترك كل هَذِهِ السعادة في نفوسنا؟ ولكن إذا نظرنا إلى صحراء قاحلة خالية من وجود أي أحد سنفهم كيف أن العيش في عزلة هو كالموت البطيء.

لذَلكَ حتَّى ولو كَانَ هُناكَ فروق كثيرة فيما بَيْنَنا علينا أن نتقبل بعضنا ونعيش في هذا العالم مستمدين القوة من بعضنا، فالحياة مشاركة.

رِسَالَةٌ مِنَ الشَّارِعِ

أنا طفل شارع. . لا أشبه أطفالكم. فليسَ لديَّ منزل أعود إليه مساءً ولا أم تنتظر قدومي إلى المنزل ولا أب حنون أجلس في حضنه.

لا أعرف شيئاً عنِ الشعور بالأمان، فلم أمسك بيد أبي من قبل، ولا أعرف شيئاً عن لمسة الأم. يتيم بلا منزل. . .

ولكن كَانَ لديَّ منزل وأم وأب في يوم من الأيام. . لقد غمرت أُمِّي السعادة عند علمها بخبر قدومي كُنتُ سأجلب معي السعادة إلى حياتهم. ولكن ذَلكَ لم يحصل.

ضربت عاصفة قوية بمنزلنا أودته أرضاً وأصيب أبي وأُمِّي. الآنَ ليسَ لديَّ منزل ولا أم ولا أب.

كم هو مؤلم الشعور أنه ليسَ لديك منزل!

لقد أُخِذَ مني منزلي، وأُلقي بي في الشارع في ليلة مؤلمة. . .

أصبح الشارع منزلي. . أمضي كل وقتي فيه.

تمضي أيامي اليوم يتلوه الآخر بعيداً عن حضن أُمِّي وعن يد أبي. كُنتُ أنام في المنتزهات العامة أو تحت الجسور، أنام في ظلام الليل البارد دون مدفأة وأنا أحضن وحدتي، وسادتي كَانَت حجرة كبيرة. كبرت دون عائلة، ودون منزل، ودون قلم أمسكه، ودون أحلامٍ أعيش لأجلها، بشعر مبعثر ومعدة صغيرة جائعة.

الشوارع. . . هي باردة أكثر مما تتصورون.

وهل يمكن للشارع أن يكون منزلاً؟ فالمنزل هو الأمان، وفي الشوارع يستحيل أن تجد الأمان. هُناكَ خطر يحيط بك عند كل رأس شارع.

ولأنه لَمْ يكنْ لي أب وأم لحمايتي من هذا الخطر انضممت إلى مجموعة من أولاد الشوارع. لهذه المجموعة قوانينها الخاصة. عدم الانصياع لها يعني خروجك منها

وبقاءك وحدك وسط هَذِهِ الشوارع المظلمة. وبالتالي ستخسر حياتك لا محالة.

لمْ تكنْ حياة الشارع اختياري، بل فرضتها الحياة علي فرضاً. فلمْ تكنْ أول أيام حياتي في الشارع.

في البداية نفقدُ منزلنا، وبعد ذَلكَ أمنا وأبونا. إما لأَنَّهُم ماتوا أو انفصلوا أو أنهم فقيرين جدّاً لا يستطيعون الاهتمام بنا.

لا استطعنا الدراسة ولا استطعنا إشباع معدتنا. رُمي بنا في الشارع فجأة! ومن يريد مثل هَذِهِ الحياة؟!

فكل ما يريده طفلٌ صغير هو حضن أم حنون ويد أب تشعره بالأمان. ولكنني طفل شارع وأصدقائي أيضاً أولاد شوارع.

لا أحد منا يحب هَذِهِ الحياة هنا، جميعنا نتمنى منزلاً دافئاً نجد فيه الراحة والأمان.

حياتنا هنا وسط هَذِهِ الشوارع المظلمة السيئة ستودي بنا إلى التهلكة، إلى الموت. ولكن ليسَ نحن فقط من

سيموت بل أنتم أيضاً. فطالما نحن موجودون هنا لن تشعروا بالراحة، ستفقدونها كما فقدناها.

بقلبي الصغير هذا بقي شيء واحد لم أفقده، وهو حلمي بأن يأتي يوم يخرجني أحدهم من هَذِهِ الحياة.

سيكون لدينا أيضاً منزل، ومدرسة، وسريرٌ نظيف دافئ، ونظرات أم حنون، سنُحب، وسيأتي يومٌ تشبع فيه معدتنا وتفرح فيه قلوبنا، ويتزين عقلنا بالأفكار الجميلة والأحلام التي لم تعد صعبة المنال.

لا أعلم، ولكن هل لاحظتم ذَلكَ؟

هذه الأحلام هي ما تبقي أطفال الشوارع واقفين على أقدامهم.

هل من مُصغٍ؟

بعد موسم الشتاء البارد يأتي الربيع معيداً الروح إلى الطبيعة.

يأتي الربيع بما فيه من لغة الزهور بألوانها المختلفة، العصافير المغردة التي تطير من غصن لآخر، يذوب الثلج ليسقي العشب ليخضر..

جاء نيسان ولكن الربيع لم يأتِ بَعدَ على مدينتنا.

تبتسم التربة بألوان الزهور الجميلة، ولكن لم ترسم البسمة بَعدُ على وجوهنا.

ننظر إلى حياتنا بلا لون ولا حيوية ولا أي إرادة. تمر الأيام هكذا دون أي جديد. الشوارع والطرقات مليئة بنظرات لا معنى لها. الساحات فارغة، ليسَ هُناكَ أصوات لأحاديث الأصدقاء الشيقة ولا ضحكاتهم. فقط صوت الدولار المرتفع والبطالة التي تزيد يوماً بَعدَ يوم.

يعاني المجتمع سنة بَعدَ سنة من غياب الفكر، والخضوع لصعوبات الحياة. عِندَما لا يتقدم ولا يتميز بشيء، يبقى في مكانه في الصف الثالث من الحياة فهو بذَلكَ لا يسمح للربيع بالظهور.

هُناكَ الكثير ممن يحاول الاقتراب إليه ولكن إذا كنَّا نعيش نتائج فجوة الصراع التي كبرتها الشعوب التي قبلنا فهل سنتقدم يوماً؟

لو أن المطر يعود للهطول في مدينتنا، لتحكي حكايات عنِ الحب والسلام وبيدنا زهرة القرنفل.

لو أن المطر يعود للهطول في مدينتنا، ليدفئ الجو ويضيء لياليا المظلمة.

لو أن المطر يعود للهطول في مدينتنا، ليقف الببغاء على أكتافنا ونستمر بالغناء سوياً إلى الصباح بصوتنا العالي.

لو نظرنا لأنفسنا قليلاً!

لو وسعنا صدرنا!

لو سلطنا الضوء على إبداعاتنا وأصواتنا المعارضة!

لو قلنا لمرة واحدة «لا»!

هل سيسمعنا أحد بَعدَ كل هذا؟

أَحْمَدُ ذُو الخَمْسَةَ عشَرَ عَاماً

كتب أحمد رسالة سلام إلى الأطفال يحكي فيها عنِ الحرب التي كَانَ يعيشها.

«أكتب هَذِهِ الرسالة خلال دورتي العسكرية بجسدي البارد وسط هذا الجو المشحون. حتَّى لو مرت السنين وأصبح كل شيء من الماضي فمازلت أنا طفل الحرب وأنت السلام. كل يومٍ يمضي أشتاق لك أكثر أيها السلام. أحلم بك دوماً».

ومازال أحمد إلى الآنَ طفلاً. يعيش داخل حلم ساحر. بقلب طفل عاش وسط حرب مؤلمة. لم ينظر للنجوم أبداً. أمضى طفولته وهو ينظر إلى الدماء التي تُسكب. لم يعش الربيع ولم يره، بل استمر بالعيش داخل خريفٍ مؤلمٍ ينزف بداخله. عمره 15 عاماً. يشتاق لحمل الورود في يده بدل السلاح.

السلام! لقد حُرمتُ منه. ترجف شفاهي حينما أتلفظ به. أعاني من الموت الصامت على جسدي. حتَّى النجوم باتت تفهم وجه الحرب البارد.

أكره البلوغ. فصعود قطار البلوغ لا يكون بالإلحاح بل بالإرادة، لا أفهمهم حينما يتكلمون في الأخبار على التلفاز أو في الطرقات.

لماذا لا يريدون النظر إلينا؟ ألم يكونوا مثلنا في يوم من الأيام؟ ألمْ يكنْ لهم أب وأم يحبونهم وفي الوقت نفسه يغضبون منهم؟

بدون شك سيأتي عَلَيهم يوم سيودعون فيه أيضاً السماء، البحر، الطيور والورود.

إذا كانوا سيذهبون في النهاية عن هَذِهِ الحياة فلم كل هَذِهِ الأسلحة؟ هل سيكونون راضين عِندَما يحاصرون داخل غرفة جدرانها مظلمة وبحضن جثة أبيهم الميتة؟ هل ستصبح أحلامهم أكثر جمالاً عِندَما يمتلكون كل هَذِهِ الأسلحة؟

كان كل عمره 15 عاماً. يعيش وبقلبه سلامٌ كبير، وبيده قلم ورائحة الممحاة في أنفه.

يقول هذا الطفل البريء: «لا» بوجه السلاح الَّذي أودى بحياة أبيه وتركه جثة هامدة أمام ناظريه.

قتل الحرب الورود والسماء والطيور وكل أحلام طفل كَانَ يعيش لأجلها. ما الداعي لكلِّ هذا؟ لقد أفقدته ابتسامته البريئة.

يقول في رسالته للسلام:

«أيها السلام! أدخل الأمان بهدوء إلى هَذِهِ الحرب المؤلمة. هذا كل ما أريدُه منك».

إِشْعَالُ نَارٍ

في إحدى الليالي المظلمة كنَّا نجلس على قمة الجبل، لا نسمع شيئاً سوى صوت الأشجار التي تحركها الرياح.

تسمعون هُناكَ أصوات لمْ تكنْ تعيرونها اهتمامكم، على الأرض الظلام، وفي السماء ضوء النجوم والأبدية، تقولون: أيهما أنت؟ الظلام أم الأبدية.

تبدأ الأسئلة التي في داخلكم بالظهور. من أنا؟ ولمَ أنا هنا؟ ماذا سأفعل وماذا يَجِب علي فعله؟ هل يوجد في الحياة أحدٌ مثلي؟

تزداد الأسئلة ويرتفع معها صوت الرياح. لن تذهبوا إلى أي مكان أو بالأحرى لا يوجد مكان تستطيعون الذهاب إليه.

ولأنكم لا تفهمون ما يجري من حولكم لا تستطيعون الاستدلال على وجهتكم الصحيحة. تترككم هَذِهِ الأسئلة

المبهمة داخل خوفٍ شديد، كطفل ليسَ لديه علم بما يجري من حوله، ويصبح كل شيء بالنسبة لكم سؤال ينتظر جواباً، تُشعلون النار لتُشيروا إلى مكانكم في الجبل وسط هذا الظلام.

وبمساعدة أغصان الأشجار يعلو وهج النار شيئاً فشيئاً. وتضيء ما حولها لتشعركم بوجودكم.

تصرخون وترسلون إشارات إلى الجبال المجاورة، تسيرون يميناً ويساراً. يجد ضوء شرارة النار المتصاعدة الأجوبة على أسئلتكم، تشعلون المزيد من النار.

وبَيْنَما تسيرون بَيْنَ النيران التي أشعلتموها تسمع النار نداءكم، تأخذكم في رحلة لإيجاد الحلول التي ستخلصكم من الوحدة التي تَعيشُون فيها.

تكبر النار وتدفئ الأجواء وتضيئها. الأصوات القادمة من بعيد والرياح والظلام الشديد، كل ذَلكَ أصبح يزيد من سعادتكم كطفل صغير تُرِكَ وسط الجبل.

كل كتاب وكل مقالة عبارة عن نار أُشعلت على قمة جبل. كتب فيها الحلول عن كل أسئلتنا في الحياة، وعنِ المعاني التي سنعيشها في حياة على شكل أغنية أو قصيدة.

النهاية